جامعة إب
مجلة الباحث الجامعي

الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة في آيات من التَّنزيل الوظيفة والجمال

صدّيق مصطفى الريّح

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، السودان

المستخلص:

وقفت هذه الدِّراسة على نماذج من الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة؛ لبيان وظيفة تلك الاستعارات، ولاستجلاء مظاهر الجمال فيها، بتجميع الإشارات في كتب القدماء والمعاصرين من المفسرين والمشتغلين ببلاغة القرآن مع تبويب تلك الإشارات والزِّيادة عليها بالتَّوسُّع في إبراز القيمة الوظيفيَّة والجماليَّة للاستعارة في القرآن المتمثلة في: أداء المعاني بدقَّة، الإيحاء بمعانٍ إضافيَّة، التَّصوير بالتَّشخيص أو بالتَّجسيم، المبالغة في أداء المعنى، توكيد المعنى المراد، البيان والإيضاح، التَّأثير في السَّامع، رسم نموذج بشريّ.

مقدمة:

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الاستعارة أحد عُمد البلاغة القرآنيَّة التي أذهلت العرب في أوج فصاحتهم، وأعجزتهم مع كونها من أساليبهم الَّتي كانت تجري على ألسنتهم طبعًا لا تصنُّعًا. كذلك هي من أساليب البيان المعرب عن المعاني في أجلى صورها كما عرفوها. ومن هنا كانت عنايتي بالاستعارات القرآنيَّة في عدد من البحوث [1] - آخرها هذا البحث - لإثبات فرضيَّة أنَّ الاستعارة في القرآن لم تأت إلَّا لفائدة لا تؤدِّيها الحقيقة، واتِّباعًا لسنن العرب الَّذين نزل هذا القرآن بلسانهم الفصيح.

وهذا البحث يستكمل أنواع الاستعارة بالوقوف عند نماذج مختارة من الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة مرتَّبة بحسب ورودها في المصحف الشَّريف، متَّبعًا المنهج الوصفيَّ التَّحليليَّ لاستجلاء ما تحتها من معانٍ ودلالات (الوظيفة) وبيان أسرار البلاغة وجماليَّات التَّعبير فيها (الجمال) من أجل الوصول إلى إثبات الفرضيَّات المذكورة آنفا.

وتقتصر هذه الدِّراسة على نماذج من الاستعارة التَّبعيَّة، إذ ليس القصد من هذه الدِّراسة استقصاء الاستعارات القرآنيَّة وأنواعها، وإنَّما الغرض منها الوقوف على وظيفة الاستعارة، وجمال التَّعبير بها، في عدد من الآيات المختارة؛ لكونها كاشفة بصورة جليَّة عن وظيفة هذا النَّوع من الاستعارة، وجماليَّات التَّعبير بها، وهما أمران متلازمان وردت إشارات متفرِّقة لهما في كتب بعض القدماء وبعض المعاصرين.

تمهيد:

إذا تأمَّلنا الآيات القرآنيَّة الَّتي جاءت فيها الاستعارة، أو نظرنا في تعليق العلماء عليها، تأكَّد عندنا صحَّة ما ذهب إليه (العلويّ) حين يقول عن آيات القرآن الكريم: "فإنَّك تجد كلَّ جملة منها، بل كلَّ كلمة من كلماتها تحتوي على لطائف، وليس في آي القرآن المجيد حرف إلَّا تحته سرٌّ ومصلحة"[2]. وفي قوله هذا تأكيد لما التفت إليه بعض الأوائل، وذلك أنَّ القرآن لا يستعير من أجل الاستعارة، بل يتوسَّل بها إلى تأدية عدد من الفوائد والأغراض الَّتي لا تؤدِّيها الحقيقة، ممَّا يجعل الاستعارة أولى من الحقيقة

بالاستعمال في تلك المواضع، وممَّن أشار إلى هذا (الآمدي) في قوله: "إنَّ الكلام إنَّما هو مبنيٌّ على الفائدة في حقيقته ومجازه، وإذا لم تتعلَّق اللَّفظة المستعارة بفائدة في النُّطق، فلا وجه لاستعارتها"[3].

وكذلك (الرُّماني)، ومن بعده (أبو هلال) الَّذي يرى أنَّ الاستعارة المصيبة "لولا أنَّها تتضمَّن ما لا تتضمَّنه الحقيقة من زيادة فائدة، لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا"[4]، ومن المعاصرين ذهب (الرَّافعي) إلى أنَّ القرآن لم يأتِ بالأساليب البلاغيَّة إلَّا لأنَّ ذلك ما يقتضيه الإعجاز للمخاطبين بما في سنن كلامهم "فهو يستعير حيث يستعير، ويتجوَّز حيث يتجوَّز، ويُطنب، ويُوجز، ويُؤكِّد، ويعترض، ويكرِّر إلى آخر ما أُحصي في البلاغة ومذاهبها؛ لأنَّه لو خرج عن ذلك لخرج من أن يكون معجزًا في جهة من جهاته، ولاستبان فيه ثمَّة نقص يمكن أن يكون في موضعه ما هو أكمل منه، وأبلغ في القصد والاستيفاء" [5].

هذا في جانب مجيء الاستعارة في القرآن، وفائدتها، أمَّا في جانب ما يجب أن يكون الأمر في دراستها فقد "اقتصر الأقدمون عند ما تحدَّثوا عن الاستعارة في القرآن على ذكر أنواعها، من استعارة محسوس لمحسوس بجامع محسوس أو بجامع عقليٍّ، ومن استعارة محسوس لمعقول، ومن استعارة معقول لمعقول أو لمحسوس، ومن استعارة تصريحيَّة أو مكنيَّة، ومن مرشَّحة أو مجرَّدة، إلى غير ذلك من ألوان الاستعارة، وهم يذكرون هذه الألوان، ويحصون ما ورد في القرآن منها، ويقفون عند ذلك فحسب، وبعضهم يزيد فيجري الاستعارة، ظانًّا أنَّه بذلك قد أدَّى ما عليه، من بيان الجمال الفنِّيِّ في هذا اللَّون من التَّصوير، ولم أر إلَّا ما ندر من وقوف بعضهم يتأمَّل بعض هذه اللَّمحات الفنَّيَّة المؤثِّرة، وليس مثل هذه الدِّراسة بمجدٍ في تذوُّق الجمال وإدراك أسراره"[6]، وبذا فهي في الغالب لا تبيِّن الأسرار الَّتي دعت إلى إيثار الاستعارة على الكلمة الحقيقيَّة، وتهمل وظيفتها في أداء المعنى على نحو يجعل القارئ يحسُّ بالمعنى على أكمل وجه، وتصوِّر المنظر للعين مشاهدًا، وتنقل الصَّوت للأذن، وتجسِّم الأمر المعنويَّ محسوسًا.

ونحن حين نستشهد بكلام (د. بدوي) السَّابق لا ننتقص من تحليلات الأقدمين لمظاهر القرآن الفنِّيَّة، ولا ندَّعي بأنَّ تحليلاتهم كلَّها كانت بعيدة عن الإحساس بجمال الاستعارة في التَّنزيل، فإحساسهم بذلك الجمال كان بطبيعة الحال متأثِّرًا بمنهجهم الَّذي يجعل للقاعدة البلاغيَّة المكان الأوَّل - وذلك علم عصرهم - فليس من الإنصاف أن نحاكمهم بمنهج عصرنا. ومع ذلك لا نعدم بعض التَّحليلات الموفَّقة الَّتي تبرز جمال الصُّورة القرآنيَّة عند علمائنا السَّابقين من أمثال (عبد القاهر)، (وأبي هلال)، و(الشَّريف الرَّضي)، و(الزَّمخشريّ)، وغيرهم كما سنرى في صفحات هذه الدِّراسة الَّتي تعنى بتجميع تلك الإشارات، وتبويبها، والزِّيادة عليها بالتَّوسُّع في إبراز القيمة الوظيفيَّة والجماليَّة للاستعارة في القرآن، دون إيثار المصطلحات البلاغيَّة الحديثة على مصطلحات قدامى البلاغيِّين، وتقسيماتهم، باعتبار أنَّ هذه التَّسميات المختلفة أمر شكليٌّ لا علاقة له بجوهر الموضوع، وباعتبار أنَّ الَّذي يعنينا أن ينهض المصطلح الَّذي نختاره - قديماً أم حديثًا - بإبراز وظيفة الاستعارة وجمالها في النَّص، "وبعد ذلك فلنعبِّر عن الصُّورة المحسَّة أو المتخيَّلة بالتَّعبير الَّذي نؤثره، فإمَّا يكون من الاصطلاحات القديمة الَّتي تبث فيها الحياة، وتنفخ فيها الرُّوح، وإمَّا أن يكون بألفاظنا الحديثة السَّهلة الَّتي تنفر من التَّعقيد، وتأبى كلفة التَّقعيد، وتصوِّر الحياة بريشة الحياة نفسها، وبأصباغها الزَّاهية، وألوانها البديعة"، كما قال (صبحي الصالح)[7].

نماذج من فرائد الاستعارة التَّبعيَّة:

من المعلوم أنَّ الاستعارة التَّصريحيَّة هي ما استعير فيها لفظ المشبَّه به للمشبَّه؛ ليقوم مقامه ادِّعاء بأنَّهما شيء

واحد، كما في استعارة اسم المصابيح للنُّجوم في قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾[فصلت : 12].

وكما تكون الاستعارة في الاسم الجامد كما في الآية السَّابقة، وتسمَّى الأصليَّة، يمكن أن تكون كذلك في الفعل أو المشتقَّات كما في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام : 122]، أي ضالًّا فهديناه، وهي ما يعرف بالاستعارة التَّبعيَّة؛ لأنَّ إجراءها في الفعل أو المشتقِّ تابع لإجرائها في المصدر[8].

وفيما يلي النَّماذج بحسب ترتيب ورودها في المصحف:

1. قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾[البقرة : 16]

شبه إيثار الباطل على الحقِّ، واختياره دونه بالاشتراء الَّذي هو استبدال مال بآخر، بجامع استبدال شيء مرغوب عنه بشيء مرغوب فيه، ثمَّ استعير اسم المشبَّه به وهو (الاشتراء) بعد التَّناسي للمشبَّه، وهو (الإيثار والاختيار)، ثمَّ اشتقَّ من الاشتراء بمعنى الإيثار والاختيار (اشْتَرَوُا) بمعنى آثروا واختاروا، على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة.

والأسرار البلاغيَّة الَّتي عدل من أجلها عن أصل التَّعبير كثيرة، فوراء هذا العدول معانٍ وخفايا مستورة لم يكن للوقوف عليها سبيل لو عبَّر عنها بأسلوب الحقيقة اللُّغويَّة، ومن هذه المعاني ما يتَّضح إذا ما جئنا إلى جانب الوظيفة والجمال. فهذه الاستعارة من الاستعارات الَّتي تسمَّى باعتبار الملائم الاستعارة المرشَّحة، وهي الَّتي قرنت بما يلائم المستعار منه، وهو المشبَّه بعد استيفاء القرينة، فهنا استعير الشِّراء للاختيار والاستبدال، ثمَّ ذُكر الرِّبح والتِّجارة وهما من ملائمات المستعار منه، وذلك ممَّا يقوِّي الاستعارة، ويحقِّق المبالغة في التَّصوير والتَّخييل، ودعوى دخول المستعار له في جنس المستعار منه، وكأنَّ الكلام على الحقيقة، ولذلك سمِّيت بالاستعارة المرشَّحة؛ إذ التَّرشيح معناه في اللُّغة التَّقوية، وقد قيل عن هذه الاستعارة بأنَّها: "من أعجب الاستعارات وأغربها، واستظرفها كلُّ محصل من علماء البيان "[9].

ولعلَّ (الزَّمخشريّ) كان الأسبق إلى الالتفات إلى هذا، إذ يقول: حيث إنَّ شراء الضَّلالة بالهدى وقع مجازًا في معنى الاستبدال، فما معنى ذكر الرِّبح والتِّجارة كأنَّ ثَمَّة مبايعة على الحقيقة؟ قلت هذا من الصَّنعة البديعة، الَّتي تبلغ بالمجاز الذِّروة العليا، وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثمَّ تقفَّى بأشكال لها وأخوات، إذا تلاحقن لم تر كلامًا أحسن منه ديباجة، وأكثر ماء ورونقًا، وهو المجاز المرشح"[10]، وذلك لأنَّ هذا التَّرشيح يبعد المشبَّه به عن جنسه، وينسى السَّامع حقيقته، وفي هذا مبالغة في تخييل المعنى الاستعاريِّ وكأنَّه حقيقة.

ويؤكد جانب التَّقوية والتَّوكيد والمبالغة في هذا الضَّرب من الاستعارة قول (ابن معصوم) " فذكر الرِّبح والتِّجارة يرشِّح حقوق المبالغة في التَّشبيه، وبيان ذلك: إنَّ في الاستعارة مبالغة في التَّشبيه، فترشيحها بما يلائم المستعار تحقيق لذلك وتقوية، ومبنى الاستعارة على تناسي التَّشبيه، وادِّعاء أنَّ المستعار له عين المستعار منه، لا شيء مشبَّه به"[11].

والاستعارة هنا بلغت الذِّروة من الجمال بما في هذه الصُّورة من رونق وبهاء وتحريك للخيال، فالقرآن يستمرُّ في رسم الصُّورة المحسوسة بما يزيدها قوَّة تمكِّن لها في النَّفس، وتصوير المعاني الذِّهنيَّة والحالات النَّفسيَّة وإبرازها في صور حسِّيَّة، وهنا يكمن سرُّ الإعجاز في بيان القرآن، فصورة الشِّراء المعبَّرة عن هذا المعنى الذِّهنيِّ توحي بشدَّة حبِّهم للكفر والضَّلال، وبغضهم للهدى؛ لأنَّ الإنسان يشتري ما يحبُّه، ويبيع ما يزهد فيه، ثمَّ جاء قوله: ﴿فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ﴾ من قبيل ترشيح الاستعارة كما يقول البلاغيُّون لتقوية الصُّورة ، وزيادة التَّخييل في الذِّهن من

خلال استحضار عمليَّة البيع والشِّراء، وما جرَّت عليهم عملية البيع والشِّراء من خسران وهلاك.

وصورة الشِّراء مألوفة؛ لأنَّها مستمدَّة من واقع الحياة العمليَّة، وتكرارها فيه تأكيد على معنى الخسران، وترسيخ لمفهوم الصَّفقة التِّجارية الخاسرة لهؤلاء الكافرين. فهؤلاء قد رغبوا عن الهدى وسلوك الطَّريق المستقيم، ومالوا إلى الضَّلال واشتروه، ولكن لم تكن تجارتهم رابحة، إذ هم أضاعوا رأس المال، وهو ما كان لهم من الفطرة السَّليمة، والاستعداد لإدراك الحقائق ونيل الكمال، فأصبحوا خاسرين آيسين من الرِّبح، وإنَّ من كانت هذه حالهم فلا علم لهم بطرق التِّجارة، فإنَّ التَّاجر إن فاته الرِّبح في صفقة، فربما تداركه في أخرى، ما دام رأس المال موجوداً، أمَّا وقد فقد رأس المال، فلا سبيل إلى الرِّبح بحال[12].

واعتمادًا على ما تقدَّم يكون في الاستعارة من ناحية أخرى تصوير لنموذج بشريٍّ، إذ يتحفنا القرآن الكريم من خلال هذه الاستعارة بصورة تدلُّ على حقارة سلوك المنافق، فتقشعرُّ، وتشمئزُّ منها النَّفس، وتنفِّر المؤمن أن يكون على مثاله، إذ تصوِّره الآية من خلال الاستعارة يظهر في صورة المستغلِّ، المجرَّد عن القيم السَّامية ممَّن يتزاحمون في أسواق الحياة اليوميَّة الماديَّة، وآثر القرآن الكريم لفظ "الشِّراء"، لأنَّ المنافق يريد أن يكون مشتريًا رابحًا دائمًا، بجمع المال من هنا وهناك، ولا ينبغي بحال أن يفلت من بين يديه شيء بالبيع، كما آثر في البيع لفظ "الرِّبح" لا الخسارة؛ لأنَّ المنافق يريد أن يكون الضَّرر بغيره فيخسر دائمًا، ليربح هو وحده، فهو أنانيٌّ يحب ذاته، وذلك مصدر هلاكه وضلاله؛ لأنَّ الشَّأن في التِّجارة الرِّبح والخسارة، فيؤدِّي حرصه على الرِّبح إلى أن يقتل نفسه في سبيل ذلك، فينتهي به الأمر إلى التَّهلكة....[13].

والاستعارة بتصويرها لهذا النَّموذج تشير إلى معنى دقيق هو "أنه ينبغي لصاحب العقل، والدِّين أن يدع هذه البيعة المذكورة في قوله: ﴿اشْتَرَوُا الضَّلالة بِالْهُدَى﴾ حتَّى ولو كانت سببًا أكيدًا للرِّبح فما بالك بها، وهي ليست رابحة، وهذا معنى دقيق، وله نظائر في كلام الله، والكلام الفصيح"[14].

2. ومن هذا الضرب قوله جلَّ ذكره: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[الأنعام: 94].

قال (الطَّبريّ) في قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾: "يعني تواصلهم الَّذي كان بينهم في الدُّنيا ذهب ذلك اليوم"[15]. و(الشَّريف الرَّضي) يقول: "لا فصائل هناك على الحقيقة فتوصف بالتَّقطُّع، وإنَّما المراد: لقد زال ما بينكم من شبكة المودَّة وعلاقة الألفة، الَّتي تشبَّه لاستحكامها بالحبال المحصدة، والقرائن المؤكَّدة".[16]

وعلى هذين القولين يمكن أن نقول بأنَّه استعار التَّقطع لزوال روابط النُّفوس وتواصلها، ثم إنَّ هذه الاستعارة قد أثرت المعنى بما لا تجده في مثل قولنا: تفرَّقتم في الأرض؛ وذلك لأنَّ التَّقطيع يشير إلى معنى نفسيٍّ دقيق؛ هو هذه الوشائج والعلائق الَّتي تقوم بين الجماعة القائمة في مكان واحد والمجتمعة في أرض واحدة، والَّتي هي أشبه باللَّحمة في الثَّوب، وبذلك يشير إلى تقطيع هذه الصِّلات والرَّوابط المتلاحمة الَّتي تربط الأخ بأخيه، والوالد بولده، والصَّاحب بصاحبه، وفي ذلك تصوير لآثار هذا التَّفريق وفعله في نفوسهم، وهذا ما لا نجده في كلمة " تفرَّقتم".

وجمال هذه الاستعارة كذلك في هذا الاستئناف، وهذا القطع في بناء الجملة تهيئة لتجسيد معنى ذهاب تلك الرَّوابط، وتوكيد لمعنى زوالها تركِّزه كلمة " تقطَّع بينكم". ثمَّ بعد هو تفريق بالغ يستفاد ذلك من إسناد القطع المبالغ فيه (بتضعيف فعل القطع) إلى البين، وإذا انقطع البين تقطَّع

ما كان فيه من الأسباب الّتي كانت تسبب الاتّصال، فلم يبق لأحد منهم اتّصال بالآخر؛ لأنَّ ما بينهما صار كالخندق بانقطاع نفس البين، فلا يتأتّى معه الوصول[17].

3. قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام داعيًا: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾[إبراهيم : 37].

يخبر بذلك- تعالى ذكره - عن خليله إبراهيم، أنَّه سأله في دعائه أن يجعل قلوب بعض خلقه تنزع إلى مساكن ذريَّته، الَّذين أسكنهم بواد غير ذي زرع عند بيته المحرَّم، وذلك منه دعاء لهم بأن يرزقهم حجَّ بيته الحرام.

وقوله: تَهْوِي "هذا هو المفعول الثَّاني للجعل، وعامَّة القرَّاء على: "تَهْوِي" بكسر العين، بمعنى تسرع، وتطير شوقاً إليه؛ كما في قول الشَّاعر:

وإذَا رَمَيْتَ بِهِ الفِجَاجَ رَأَيْتَهُ

يَهْوِى مَخَارِمَها هُوِيَّ الأجْدَلِ

وأصله أن يتعدَّى باللَّام، وإنَّما عدِّي بإلى؛ لأنَّه ضمِّن معنى تميل، كما في قول الآخر:

يَهْوِي إلى مكَّة يَبْغِي الهُدَى ما مُؤمِنُ الجِن ككُفَّارِهَا[18]

وعلى هذا شبِّه الإسراع شوقاً بالهُوي، واشتقَّ من المشبَّه به تهوي بمعنى تسرع، فالاستعارة تصريحيَّة تبعيَّة، وهي كما يقول (الشَّريف الرَّضي) من محاسن الاستعارة. وعنده استعارة الهوي للنُّزوع والحنين تفيد المبالغة كما يوضِّحها قوله: "وحقيقة الهُوي النُّزول من علوٍّ إلى انخفاض كالهبوط، والمراد به ههنا المبالغة في صفة الأفئدة بالنُّزوع إلى المقيمين بذلك المقام" [19].

ومع جمال هذه الاستعارة، وما أفادته من مبالغة تلفتنا دقَّة التَّعبير بكلمة (يَهوِى) بكسر الواو كما هي عند عامَّة القرَّاء أي يذهب باندفاع، دون (يهوَى) بفتح الواو بمعنى يحنُّ ويميل، فالإنسان إن سقط من مكان عالٍ لا يستطيع أن يقول: سأتوقَّف عند نقطة ما في منتصف مسافة السُّقوط مثلاً؛ لأنَّ الَّذي يقع من مكان لا يقدر على أن يمسك نفسه. ولذلك قرئ ﴿تَهْوِيَ إِلَيْهِمْ﴾. لإفادة معنى أنَّه فعل يأتي دون اختيار من الْهُويِّ أي: السقوط، وهو أمر لا يملكه الإنسان، كالَّذي يسقط من مكان عالٍ، فليس له اختيار في ألَّا يسقط، وهكذا تحنُّ القلوب إلى بيت الله، وتتحرَّق شوقًا إليه، وكأنَّ شيئاً يجذبها لأداء هذه الفريضة.

وفي الاستعارة كذلك إيجاز موحٍ بأكثر من حقيقة اللَّفظ، إذ توحي الاستعارة هنا بأنَّ الهُوي ليس من صنعة الجسم، ولكنَّه من صنعة الأفئدة . والأفئدة بيد الله - سبحانه - هو الَّذي جعلها تهوِي؛ فتسرع شوقًا وحبًّا من مكان بعيد، بعكس تهوى بمعنى (تحنُّ) إذ قد يكون الحنين من المقيم بالمكان، وفي ذلك قال (الشَّريف الرَّضي): "ولو قال سبحانه: تحنُّ إليهم، لم يكن فيه من الفائدة ما في قوله - سبحانه - ﴿تَهْوِيَ إِلَيْهِمْ﴾؛ لأنَّ الحنين قد يوصف به من هو مقيم في مكانه، والهوي يفيد انزعاج الهاوي من مستقرِّه"[20].

ثمَّ التَّعبير بكلمة (أفئدة) ولم يقل جماعة أو طائفة ونحوه، وذلك لما في كلمة أفئدة من تضمُّن معنى الإقبال برغبة ومحبَّة. والمراد: فاجعل أناسًا يهوون إليهم، فأقحم لفظ الأفئدة لإرادة أن يكون مسير النَّاس إليهم عن شوق ومحبَّة، حتَّى لكأنَّ المسرع إلى هذا الجوار الطَّيب هو القلب والرُّوح وليس الجسد وحده[21]. فلمَّا ذكر (أفئدة) لهذه النُّكتة حسن بيانه بأنَّهم (من النَّاس)، فـ (من) بيانيَّة لا تبعيضيَّة، إذ لا طائل تحته، والمعنى: فاجعل أناسًا يقصدونهم بحبَّات قلوبهم.

وبعد، كما يقول (سيِّد قطب)" في التَّعبير رقَّة ورفرفة، تصوِّر القلوب رفَّافة مجنَّحة، وهي تهوي إلى ذلك البيت وأهله في ذلك الوادي الجديب . إنَّه تعبير نديٌّ يندِّي الجدب برقَّة القلوب"[22].

4. ومنه الآية: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[الحجر: 94].

فالآية خطاب للنَّبي ﷺ بأن يبلِّغ الأمانة، ويوضِّح أمر الدِّين وضوحًا تامًّا لا يعود معه إلى خفاء، كما لا يلتئم الزُّجاج بعد كسر، فهنا استعير الصَّدع الحسِّيُّ، وهو كسر الزُّجاج للتَّبليغ الَّذي لا ينمحي أثره، وهو عقليٌّ بجامع قوَّة التَّأثير في كلٍّ، ثمَّ اشتقَّ منه (اصدع) بمعنى: بلِّغ تبليغًا يبقى أثره. وقد أشار إلى ذلك (الرُّماني) الذي يرى أنَّ المراد بذلك "بلِّغ" فيكون قد استعار للتَّبليغ الصَّدع، والتَّعبير بالصَّدع عنده أبلغ؛ لأنَّ التَّبليغ قد لا يكون له تأثير بخلاف الصَّدع، فلا بدَّ له من تأثير ظاهر كتأثير صدع الزُّجاجة[23].

وعلى هذا يكون قد استعير في الآية الكريمة: "الصَّدع" وهو كسر الزُّجاج للتَّبليغ بجامع التَّأثير في كلٍّ منهما، أمَّا في التَّبليغ فلأنَّ المبلِّغ قد أثَّر في الأمور المبلَّغة ببيانها بحيث لا تعود إلى حالتها الأولى من الخفاء، وأمَّا في الكسر فلأنَّ فيه تأثيرًا لا يعود المكسور معه إلى التئامه، ثمَّ اشتقَّ من الصَّدع بمعنى التَّبليغ (اصدع) بمعنى (بلغ)، على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة.

والآية بما فيها من استعارة رائعة وجميلة، تمثِّل ما في القرآن من وجوه إعجازه البيانيِّ، والفصاحة الَّتي عجز عنها الفصحاء، وقصَّر فيها البلغاء، ويحكى أنَّ أعرابيًّا سمع رجلاً يقرأ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فسجد، وقال "سجدت لفصاحة هذا الكلام"[24]. وكان موضع التَّأثير في هذه الجملة هو كلمة (اصدع) في إبانتها عن الدَّعوة والجهر بها والشَّجاعة فيها، وكلمة (بما تؤمر) في إيجازها وجمعها[25].

والاستعارة هنا مثال لما كثر في القرآن من أخذ الكلمات الموضوعة للأمور المحسوسة يدلُّ بها على معقول معنويٍّ، يصير به كأنَّه ملموس مرئيٌّ، فضلاً عن إيحاءات الكلمة إلى النَّفس، فهي تبرز المعنى المعقول في صورة حسِّيَّة متحرِّكة كأنَّها ترى بالعين، وتلمس باليد، فاللَّفظة المستعارة (اصدع) بصورتها وجرسها وإيحائها قد انفردت برسم هذه الصُّورة الفريدة المؤثِّرة، إذ إنَّ من يقرؤها يخيَّل إليه أنَّه يسمع حركة هذه المادَّة المصدوعة، ولو استبدلنا كلمة (اصدع) بكلمة (بلِّغ) نحسُّ أنَّ عنصر التَّأثير يكاد يختفي، وأنَّ الصُّورة الحيَّة المتحرِّكة قد ضعفت، وأنَّ المعنى قد أصبح باهتاً، وأنَّ اللَّفظة المستعارة هي الَّتي رسمت هذه الصُّورة في إطار نظم الآية المعجز، بما فيها مع التَّجسيم من تخييل رائع صوَّر ما أمر به - عليه الصَّلاة والسَّلام- جسمًا، فأصبح مادَّة سريعة العطب، قابلة للشَّقِّ والكسر، "فليصدعها بقوَّة ، وليخيِّل إلى قارئ هذه العبارة أنَّه يسمع حركة هذه المادَّة المصدوعة، فذلك أدلُّ على نفاذ تبليغه إلى القلوب من أيَّة صيغة أخرى"[26].

وهذا ما يؤكِّد قول ابن (أبي الإصبع المصريّ)، وهو الَّذي أفاض في بيان حسِّيَّة هذه المفردة (اصدع)، وفضلها في رسم معنى الدَّعوة الإسلاميَّة ومشقَّتها، إذ يقول: "والمعنى صرِّح بجميع ما أوحي إليك، وبيِّن كلَّ ما أمرت ببيانه، وإن شقَّ ذلك على بعض القلوب فانصدعت، والمشابهة بينهما فيما يؤثِّره التَّصديع في القلوب، فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوجوه من التَّقبُّض والانبساط، ويلوح عليها من علامات الإنكار والاستبشار، كما يظهر ذلك على الزُّجاجة المصدوعة المطروقة في باطنها"[27]، وهاهنا الصَّدع يعني بقاء أثر الدَّعوة ظاهرًا، ولا يكون هذا في التَّحطيم، فكأنَّ كلمات الخالق عزَّ وجلَّ تشقُّ القلوب، وهذا ممَّا أشار إليه (ابن أبي الإصبع)، إذ ربط بين التَّصوير الحسِّيِّ، وبين أبعاده النَّفسيَّة.

وفي استعارة الصَّدع للتَّبليغ كذلك دقَّة التَّعبير والتَّصوير، وبيان ذلك أنَّ الصَّدع أمر يدرك بالحسِّ الظَّاهر، وقد استعير هنا للدَّلالة به على التَّبليغ ذي التَّأثير في النُّفوس المشابه للتَّأثير الَّذي يحدثه من يصدع الزُّجاج، وهذا أمر يدرك بالفكر، وقد يحسُّ به من وجِّه له التَّبليغ في

وجدانه ومشاعر نفسه، فلذا كان تشبيه هذا التَّأثير بالصَّدع بالغ الدقّة في التَّصوير، وجاءت الاستعارة تبعًا لهذا التَّشبيه[28].

ومن أسرار جمالها أيضًا الإيجاز الموحي الَّذي هو طِلْبة البلغاء، بحيث تفي الكلمات القليلة بالمعاني النَّفسيَّة الَّتي توحي بها آيات التَّنزيل، فقوله جلَّ جلاله: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ كما يقول (الثَّعالبيّ): "ثلاث كلمات اشتملت على شرائط الرِّسالة وشرائعها وأحكامها وحلالها وحرامها"[29]، فالآية موجزة العبارة، لكنَّها تَدلُّ على معانٍ كثيرة، وقد ذكرها (ابن أبي الإصبع) من أمثلة الإيجاز، ونبَّه على ما في عبارة (فَاصْدَعْ) من دقائق.

كما إنَّ كلمة (الصَّدع) مع ما هي عليه من إيجاز توحي بما يتطلَّبه التَّبليغ وإيصال الرِّسالة إلى المعاندين من قوَّة مؤثِّرة كالصَّدع للجمادات الصُّلبة، كما توحي بما سيكون من أثر هذه الدَّعوة الجديدة في أنَّها ستشقُّ طريقها إلى القلوب وتحدث في النُّفوس أثرًا قويًّا. فهي، توحي بحقيقة الجهر بالدَّعوة، وما سيحدثه من أثر في قلوب الكافرين، وإنكار يظهر في قسمات وجوههم، كما أنَّ الجهر بالدَّعوة، له تبعات ومشاقٌّ، ولا بدَّ من تحمُّلها في سبيل الجهر بالدَّعوة ، وإبلاغها للنَّاس، وكلُّ هذا من " إيحاءات الصُّورة المرسومة بجرس اللَّفظ (اصدع)، وما فيه من قوَّة وشدَّة ، يتناسق مع المعنى ، ويوحي به"[30].

وفي هذه الاستعارة معنى فوق ما ذكرنا من الكشف المبين عن حقائق ما جاء به ﷺ وصيرورته في هذه الصُّورة المحسوسة، وهو الصَّدع والشَّق الماثل في الأجسام، وفيها الإيحاء بوجوب الإعلان الواضح بكلمة الله في كلِّ أمر من الأمور، وإن كان في هذا مصادمة لما تعارف عليه النَّاس، ولما ألفوه في حياتهم وسلوكهم وعاداتهم . فالأمر بالصَّدع هنا يعني زلزلة هذا المألوف، ومصادمته مصادمة تهدمه ما دام قائمًا على منهج يخالف الدَّعوة الجديدة إلى منهج الله.

وهكذا فعل الرَّسول الكريم ﷺ، فقد هدم ما رسخ من عقائدهم وأعرافهم، وما رسخ في قلوبهم وضمائرهم، ثمَّ إنَّ هذه الاستعارة من وجه آخر فيها تعريض بمن يصانعون الجهلة والطَّواغيت، وأصحاب العقائد والمذاهب الفاسدة، وكلُّ هذا وغيره يخالف الإبانة الكاشفة الَّتي جسَّدتها كلمة: (فَاصْدَعْ).

وهذا قليل من كثير ممَّا توحي به هذه الاستعارة، وفي ذلك يقول (ابن أبي الأصبع): "فانظر إلى جليل هذه الاستعارة، وعظم إيجازها، وما انطوت عليه من المعاني الكثيرة"[31].

5. وفي قوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ [الكهف: 99].

يرى (الشَّريف الرَّضي) أنَّه قد شبِّهت شدَّة اختلاطهم، ودخول بعضهم في بعض واضطرابهم بموج البحر المتلاطم[32]. وذلك يعني أنَّه استعير الفعل يموج لحركة الاضطراب والتَّداخل الشَّديد . والاستعارة إذن في معنى الفعل يموج إذ شبِّه الاضطراب الشَّديد في حركة النَّاس يوم القيامة بالاضطراب الشَّديد بحركة موج البحر، وهما مصدران، ثمَّ اشتقَّ من المصدر المشبَّه به الفعل يموج بمعنى يضطرب اضطرابًا شديدًا، فالاستعارة لذلك في الآية استعارة تبعيَّة.

والتَّعبير بالاستعارة في الفعل (يموج) فيه تصوير لحركة الجموع البشريَّة من كلِّ لون وجنس مختلطين مضطربين في غير نظام، وقد دلَّت على ذلك بكلِّ دقَّة كلمة (يموج) الَّتي تتجاوز عند استعارتها معنى (الاضطراب) ؛ لتصوِّر للخيال "هذا الجمع الحاشد من النَّاس احتشادًا لا تدرك العين مداه، حتَّى صار هذا الحشد الزَّاخر كبحر ترى العين منه ما تراه في البحر الزَّاخر من حركة وتموُّج واضطراب، ولا تأتي كلمة يموج إلا موحية بهذا المعنى، ودالَّة عليه"[33].

فمن الأسرار الَّتي دعت إلى إيثار استعارة كلمة يموج على الكلمة الحقيقيَّة، أنَّها من النَّوع المصوِّر الَّذي يجعل القارئ يحسُّ بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه، إذ تصوِّر للعين، منظر هذا الجمع الحاشد من كلِّ لون وجنس وأرض، ومن كلِّ جيل وزمان وعصر، مبعوثين منتشرين، يختلطون ويضطربون في غير نظام، وفي غير انتباه، تتدافع جموعهم تدافع الموج، وتختلط اختلاط الموج[34]، وكما تصوِّر للخيال حركة النَّاس واضطرابهم في أثناء هذا المشهد الكونيِّ الرَّهيب، إثر الخروج من القبور، وتجسِّم هذا الاضطراب النَّفسي في حركة الأمواج الموحية بالتَّدافع العنيف من غير نظام، والتَّداخل من غير ضابط.

وفي الاستعارة هنا كذلك الدقَّة في التَّعبير عن المعنى، ويتَّضح ذلك إذا قارنَّا بين هذه الصُّورة والصُّورة في قوله: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾[البقرة: 198]، فنلاحظ أنَّ الحركة التَّصويريَّة في (أفضتم) توحي بالخشوع، والنِّظام، والسَّير في اتِّجاه واحد مرسوم على شكل أفواج متتابعة، يجلِّلها الوقار والخشوع ، بعد تعرُّضها لفيض الرَّحمة على عرفات، بينما في (يموج) توحي بالفوضى والتَّدافع مثل حركة الأمواج المتلاطمة[35]، وتعبِّر عن القلق والاضطراب والتَّدافع، وهي ملائمة لحركة النَّاس يوم البعث من القبور، أو حركة يأجوج ومأجوج عند انهدام السدّ"[36].

وإيثار الاستعارة هنا أيضًا لما تؤدِّيه من مبالغة ، كما يفهم من قول (الرُّماني): " أصل الموج للماء، وحقيقته تخليط بعضهم ببعض، والاستعارة أبلغ، لأنَّ قوة الماء في الاختلاط أعظم"[37]. وكذلك قول (الشَّريف الرَّضي) الَّذي يرى أنَّ استعارة الفعل (يموج) لوصف حال النَّاس يومئذ ممَّا يدلُّ على " شدَّة اختلافهم ودخول بعضهم في بعض لكثرة أضدادهم، تشبيهًا بموج البحر المتلاطم، والتفاف الدَّبا المتعاظل"[38].

6. قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾[الأحزاب: 10- 11].

قال (الزُّجاج): "الزَّلزلة نقل الشَّيء من مكانه، فإذا قلت زلزلته فمعناه كررَّت زلله من مكانه"[39]، والزَّلزلة شدَّة التَّحريك تكون في الأشخاص وفي الأحوال، يقال زلزل الله الأرض زلزلة وزلزالاً بالكسر؛ فتزلزلت أي تحرَّكت واضطربت، فمعنى زلزلوا خوِّفوا وأزعجوا إزعاجًا شديدًا، وحرِّكوا بأنواع البلايا والرزايا.

وفي قوله: ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾؛ شبَّه ما نالهم أثناء غزوة الأحزاب من فزع واضطراب بالزَّلزلة، بجامع شدَّة الاضطراب في كلٍّ، ثمَّ استعيرت الزَّلزلة للانزعاج الشَّديد والاضطراب البالغ، ثمَّ اشتقَّ منه (زلزلوا) بمعنى اضطربوا وانزعجوا، على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة.

وقد لاحظ (الرُّماني) الشدَّة المكنونة في لفظة (زلزلوا) الَّتي تنمُّ على اضطراب أعماق المؤمنين الَّذين انتظروا فرج ربِّهم، فقد عبَّر (الرُّماني) عن هذا الاضطراب قائلاً: "زلزلوا أفضل من كلِّ لفظ كان يعبَّر به عن غلظ ما نالهم من الانزعاج فيهما، إلا أنَّ الزَّلزلة أبلغ وأشدُّ"[40]، وفي ذلك دقَّة التَّعبير، فالعدول إلى لفظة زلزلوا دون غيرها هنا إذن لتؤدِّي معنى لا تؤدِّيه أيَّة لفظة أخرى، ولو أنَّنا جهدنا في أن نضع كلمة مكانها ما استطاعت أن تؤدِّي معنى هذا الاضطراب النَّفسي العنيف، وكما يقول (حفني محمد شرف): "فإنَّ الاستعارة الَّتي تضمَّنتها لفظة (زلزلوا) الَّتي شبَّه فيها الاضطراب النَّفسي الشَّديد الَّذي أصابهم بالزَّلزال، مهما حاولنا تغيير لفظ الاستعارة ما أدَّى المعنى المطلوب، ولا صوَّر الحالة المرجوَّة"[41].

والاستعارة هنا من الكلمات الموضوعة للأمور المحسوسة يدلُّ بها على معقول معنويٍّ يصير به كأنَّه ملموس مرئيٌّ فضلاً عن إيحاءات الكلمة إلى النَّفس، وكلُّ ذلك مع ربط الحركة الحسِّيَّة بالحركة النَّفسيَّة المضطربة الَّتي تدلُّ عليها حركة الزِّلزال الحسِّيَّة بعنفها وشدَّتها، واضطرابها، بحيث لا يمكن اختيار كلمة أخرى موضعها للدَّلالة على الحركة المضطربة، وشدَّتها ونتائج الحركة في النُّفوس؛ "لأنَّ لفظ الاستعارة في الآية من الوصف الموحي المصوِّر، فوصف ما أصاب المؤمنين يومئذ بالزَّلزلة فيه وصف دقيق لنفسيَّة المؤمنين وقد أحيط بهم، وهذا مؤذن بأنَّ اليأس من النَّجاة، كاد يستولي على النُّفوس"[42]. واستعارة الزَّلزلة لما أصابهم صورة ترسم "الاضطراب" مطلقًا من كلِّ ملابسة، وما يزيد عليها أو ينقص منها إلا جزئيَّات في الواقع! أما الصُّورة النَّفسيَّة فخالدة تتكرَّر في كلِّ زمان، حيثما التقى جمعان، وتعرَّض أحدهما للخذلان، والصُّورة هنا لا تترك جانبًا من جوانب تأثير الموقف في النُّفوس إلا وشخَّصته وأظهرته للعيان، فاجتمعت الصُّورة البصريَّة، والصُّورة الذِّهنيَّة، والصُّورة النَّفسيَّة، للدَّلالة على موقف الكرب الشَّديد والضِّيق الخانق.

كما إنَّ اللَّفظة المستعارة فيها نوع من التَّصوير الصَّوتيِّ، ونعني به أن يتناسب لفظ الكلمة مع المعنى الَّذي تؤديه، فتصوِّر حروفها بأصواتها المعنى تمامًا، فعندما نتأمَّل قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ نكتشف خاصِّيَّة فريدة في اللُّغة العربيَّة، هذه الخاصِّيَّة هي تعبير الصَّوت عن واقعيَّة الحركة، فكلمة (زلزلوا) أصلها زلزل، وهذه الكلمة لها مقطعان هما (زل، زل)، و(زل): أي سقط عن مكانه، والثَّانية لها المعنى نفسه أيضًا، أي وقع من مكانه، فالكلمة تعطينا معنى الوقوع المتكرِّر: وقوع أوَّل، ووقوع ثانٍ، لكنَّهما مختلفان في الاتِّجاه، فإن الزَّلَّة الثَّانية تأتي عكس الزَّلَّة الأولى في الاتِّجاه، فكان في كلمة (زلزلوا) تكرير حروف يستتبع تكرير الحركة في اتِّجاهين مختلفين، فصارت الكلمة بذلك وبجرسها، ترسم اضطرابات نفسيَّة متتابعة لا تنقطع، خصوصًا أنَّ الزِّلزال هائل، ولا سيطرة عليه، كما تصوِّر زلزلة الأجسام، واضطرابها لما تعرضت له، وزلزلة النُّفوس المصاحبة لزلزلة الأجسام، ممَّا قوَّى من الشُّعور بإبطاء نصر الله.

ومن الأسباب الإضافيَّة لروعة هذه الاستعارة ما التفتت إليه (بنت الشَّاطئ) من ظاهرة أسلوبيَّة تضطرد في مثل هذا الموقف، ألا وهي بناء الفعل (زُلْزِلَوا) للمجهول، تركيزًا للاهتمام في الحدث ذاته، وإيحاء بأنَّ الأرض تزلزل عن طواعية، واستجابة لتسخير تلقائي. وكذلك مجيء الفعل ماضيًا، لتقرير أنَّه حادث فعلاً[43].

7. قوله تعالى في شأن سبأ الَّذين كانت لهم قرى متَّصلة باليمن فبطروا ذلك: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[سبأ: 19].

يقول (عبد القاهر): "إنَّ التَّمزيق للثَّوب في أصل اللُّغة، إلا أنَّه على ذاك راجع إلى الحقيقة، من حيث إنَّه تفريق على كلِّ حال، وليس بجنس غيره، إلا أنَّهم خصُّوا ما كان مثل الثَّوب بالتَّمزيق، كما خصُّوه بالخرق، وإلا فأنت تعلم أنَّ تمزيق الثَّوب تفريقُ بعضه من بعض، ومثله أنَّ القطع إذا أطلق، فهو لإزالة الاتِّصال من الأجسام الَّتي تلتزق أجزاؤها، وإذا جاء في تفريق الجماعة وإبعاد بعضه عن بعض، ... كان شبه الاستعارة"[44].

وإيضاح وجه الاستعارة في القول السَّابق أنَّ هذه استعارة من حيث أنَّ التَّمزيق للثَّوب في أصل اللُّغة، وأريد به هنا التَّفريق، فإنَّه يقال: مزَّق الثَّوب، ولا يقال: مزَّق القوم، وإنَّما يقال: فرَّقهم، ولكن لَّما كان هذا التَّفريق كأنَّه نزع لكلِّ فرقة من هذه الجماعة، كما تنزع القطعة من

الجسم الحيِّ المتواصل عبِّر عنه بالتَّمزيق، واشتقَّ من المشبَّه به (مزَّق) بمعنى (فرَّق) على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة.

ووظيفة الاستعارة هنا الإيضاح والتَّقريب عن طريق تجسيم المعاني في صورة محسوسة ، باعتبار أنَّ الوصف كما يكون حسيًّا" يتناول مظاهر الأشياء ثابتة ومتحرِّكة كذلك يتناول النَّواحي المعنويَّة، كالفضائل النَّفسيَّة، والعواطف النَّبيلة، والآلام المبرِّحة، والآمال البهيجة، وما يدور في النَّفس من شكٍّ ويقين"[45]، فيجسِّدها في صورة المحسوس إظهارًا لها وتقريبًا لها إلى تصوُّر المتلقِّي، ومن هذا الضَّرب هذه الاستعارة - في الآية - الَّتي تجسِّد معنى ذهاب روابط النُّفوس وتواصلها في هذه الكلمة في تصوير حسن، يبيِّن ذلك المعنى في أوضح صورة، تركِّزه كلمة (مزَّقناهم).

والتَّعبير بالتَّمزيق فيه إيحاء نفسيٌّ بالغ بالمعاناة الَّتي عانى منها هؤلاء الَّذين ظلموا أنفسهم بهذا التَّشتيت، وهذا التَّفريق، وكأنَّ علائق الودِّ وصلات القربى حبال ممدودة بين هذه الجماعة ، فجاء التَّفريق كأنَّه شقٌّ وتمزيق وتقطيع لهذه الأوصال، وهذا المعنى تجده في كلمة: (وَمَزَّقْنَاهُمْ) ولا تجد شيئًا منه لو قيل: فرَّقناهم.

كما إنَّ التَّعبير عن التَّفريق بالتَّمزيق يفيد المبالغة في التَّعبير عن شدَّة أثر ذلك التَّفريق، وفيه كما يقول (أبو السُّعود): "من تهويل الأمر والدَّلالة على شدَّة التَّأثير والإيلام ما لا يخفى؛ أي مزَّقناهم تمزيقًا لا غاية وراءه، بحيث يضرب به الأمثال[46] في كلِّ فرقة ليس بعدها وصال"[47].

8. وفي قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾[يس : 37].

يقول (الزَّمخشريّ): "سلخ جلد الشَّاة إذا كشطه عنها وأزاله، ومنه: سلخ الحيَّة لخرشائها، فاستعير لإزالة الضَّوء وكشفه عن مكان اللَّيل وملقى ظلِّه"[48]؛ أي استعير لإزالة ضوء النَّهار عن الكون قليلاً قليلاً، بجامع ما يترتَّب على كلٍّ منهما من ظهور شيء كان خافيًا، فبكشط الجلد يظهر لحم الشَّاة، وبغروب الشَّمس تظهر الظُّلمة الَّتي هي الأصل والنُّور طارئ عليها، يسترها بضوئه، ثمَّ اشتقَّت من السَّلخ الإزالة، فكان هذا التَّعبير الفنِّيُّ ممَّا يسمِّيه علماء البلاغة الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة.

وإذا حاولنا تبيُّن الأسرار الَّتي دعت إلى إيثار استعارة كلمة (نسلخ) هنا على الكلمة الحقيقيَّة، فمنها البيان والإيضاح، وذلك بتصوير المحسوس بما هو أشدُّ تمكُّنًا منه في الحسِّيَّة، وهذا ما أشار إليه (ابن سنان)، في عبارته "وقوله عزَّ اسمه: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾؛ لأنَّ انسلاخ الشَّيء عن الشَّيء هو أن يتبرَّأ منه ويزول عنه حالاً فحالاً، وكذلك انفصال النَّهار عن اللَّيل، والانسلاخ أبلغ من الانفصال؛ لما فيه من زيادة البيان"[49]. كما أشار إليه (أبو هلال) قائلاً: "فلمَّا كانت هوادي الصُّبح عند طلوعه كالملتحمة بأعجاز اللَّيل أجرى عليها اسم السَّلخ؛ فكان أفصح من قوله: يخرج؛ لأنَّ السَّلخ أدلُّ على الالتحام المتوهَّم فيهما من الإخراج"[50].

فيفهم ممَّا قالا أنَّه جاءت في هذه الآية استعارة فعل (نسلخ) من عمليّة سلخ جلد الحيوان بعد ذبحه، وهو أمر مدرك بالحسِّ الظَّاهر، للدَّلالة به على عمليَّة إزالة ضوء النَّهار شيئًا فشيئًا عن مواطن ظهوره على الأرض في حركات وأحداث متتابعات، وهذا أمر مدرك بالحسِّ الظَّاهر أيضًا، فحركة ذهاب النَّهار عن المشارق وظهور الصُّبح بالتَّدرُّج تشبه حركة سلخ الجلد شيئًا فشيئًا عن الحيوان المذبوح، فاستعير هذا لهذا بفنِّيَّة دقيقة جدًّا[51]. فجاءت الاستعارة هنا أصدق أداة تجعل القارئ يحسُّ بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه ، وتصوُّر المنظر للعين، ليتملاه الخيال فكلمة نسلخ تحرِّك في الأذهان مشهد سلخ جلد الشَّاة عنها، وإزالته ليظهر اللَّحم من تحته، وكذلك

الصُّبح هو الغطاء المعتم ينقشع تدريجيًّا ؛ لينبلج الصَّباح بإشراقه وضوئه منبثقًا من ظلام الصُّبح.

ومن بلاغة الاستعارة أنَّ العدول إلى كلمة (السَّلخ) أدقُّ في تصوير انحسار الضَّوء عن الكون شيئًا فشيئًا ودبيب الظَّلام إلى الكون في بطء، فهي تعبير دقيق عن هذه الآية الكونيَّة العظيمة، فصورة انسلاخ النَّهار من الصُّبح، تعبِّر عن الحقيقة الكونيَّة أدقَّ تعبير، لأنَّ النَّهار تلبَّس بالصُّبح ملتصقًا به، ويد القدرة الإلهيَّة هي الَّتي تنزع النَّهار من الصُّبح كما ينسلخ الجلد من فوق الضَّحيَّة الَّتي تذبحها ، فالجزء الَّذي كان مضيئًا من الأرض دار فانسلخ منه نهاره فهم مظلمون الآن، فكلمة نسلخ تصوِّر للعين في دقَّة بالغة انحسار الضَّوء عن الكون قليلاً قليلاً، ودبيب الظَّلام إلى هذا الكون في بطء، حتَّى إذا تراجع الضَّوء ظهر ما كان مختفيًا من ظلمة الصُّبح[52].

والتَّعبير القرآنيُّ عن هذه الظَّاهرة - في هذا الموضع- تعبير فريد، فهو يصوِّر النَّهار متلبِّسًا بالصُّبح، ثم ينزع الله النَّهار من الصُّبح ﴿ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾[يس : 37]. ولعلَّنا ندرك شيئًا من سرِّ هذا التَّعبير الفريد حين نتصوَّر الأمر على حقيقته، فالأرض الكرويَّة في دورتها حول نفسها في مواجهة الشَّمس تمرُّ كلُّ نقطة منها بالشَّمس، فإذا هذه النُّقطة نهار، حتَّى إذا دارت الأرض، وانزوت تلك النُّقطة عن الشَّمس انسلخ منها النَّهار، ولفَّها الظَّلام- وهكذا تتوالى هذه الظَّاهرة على كلِّ نقطة بانتظام، وكأنَّما نور النَّهار ينزع أو يسلخ فيحلَّ محلَّه الظَّلام، فهو تعبير مصوِّر للحقيقة الكونيَّة أدقَّ تصوير، كما قال (سيد قطب)[53].

ومشهد قدوم الصُّبح، والنُّور يختفي، والظُّلمة تغشى مشهد مكرور يراه النَّاس، وهو مع تكراره اليوميِّ عجيبة تدعو إلى التَّأمُّل والتفكير، والصُّورة الاستعاريَّة هنا تعبِّر عن ظاهرة كونيَّة مرئيَّة، وترسمها بدقَّة وعناية من خلال صورة السَّلخ الحسِّيَّة، لإحياء هذه الظَّاهرة في الحسِّ الغافل عنها، وتحقيق التَّأثير الدِّينيِّ من وراء تصوير الصُّبح والنَّهار، وما بينهما من اتِّصال وثيق، وتعاقب مستمر في سلاسة وسهولة.

ومن الأسرار كذلك وراء استعارة كلمة (نسلخ) هنا أنَّها توحي بمعنى الاتِّصال التَّام بين وقتي الصُّبح والنَّهار، والتَّدرُّج في تعقُّب أحدهما الآخر، فصورة الانسلاخ، توحي باتِّصال الصُّبح والنَّهار، مثل التصاق الجلد بالشَّاة، وظهور الصُّبح المتدرِّج أشبه بصورة سلخ جلد الشَّاة، فإذا تمَّ الانسلاخ كاملاً، انفصل أحدهما عن الآخر، وعمَّ الظَّلام، أمَّا قبل السَّلخ الكامل، فيلاحظ اتِّصال أحدهما بالآخر، وامتزاج اللَّونين الضِّياء والظَّلام، وهذه حقيقة علميَّة، توحي بها الصُّورة، فحين يكون ظلام في جهة، يكون ضياء في الجهة الأخرى، وهكذا يتجاور الضِّياء والظَّلام في الصُّورة، كما هما ملحوظان في الحركة الكونيَّة على ظهر الأرض[54].

كما نلحظ في الاستعارة هذي المبالغة في شدَّة ما بين الضِّياء والظَّلام من الاتِّصال والتَّمازج ؛ "لأنَّ السَّلخ لا يتأتَّى إلا بجهد ومشقَّة، لفرط التحامه باللَّحم والعظام، والجامع بينهما الإزالة والتَّعرية، فكما أنَّ الشَّاة تتعرَّى حين يسلخ إهابها، كذلك الصُّبح إذا انسلخ عنه النَّهار، زال ضوؤه ، وبدت ظلمته الحالكة تغمر الكون بسوادها "[55].

وقد أشار إلى خاصِّيَّة المبالغة هنا، (العلويّ) الَّذي يرى أنَّ تشبيه انفصال الصُّبح من النَّهار بسلخ الأديم عن الشَّاة يدلُّ "على عظم اتِّصال الصُّبح بالنَّهار، وشدَّة التحامه به، ولهذا فإنَّك ترى الفجر عند طلوعه، نوره في غاية الامتزاج، والاختلاط بظلام الصُّبح، فلا يزال النَّهار في قوَّة، وغلبة، وظهور، حتَّى يستولي عليه بالإنارة ؛ فيمحوه ويزيله، فالسَّلخ مؤذن بشدَّة الالتحام، كالجلد، والغشيان مؤذن بعظم الاستيلاء والاشتمال، وكلاهما مشعر بالاتِّصال البالغ "[56].

9. قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾[الرحمن : 31].

فالله عزَّ وجلَّ لا يشغله شأن عن شأن، ولكن هذا أبلغ في الوعيد . وحقيقة الكلام في قوله: ﴿سَنَفْرُغُ﴾ سنقصد، فاستُعير الفراغ للقصد، واشتقَّ منه الفعل نفرغ على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة، والاستعارة هنا أبلغ من الحقيقة؛ لأنّ القصد لا يكون إلا مع الفراغ، ولكن في الفراغ بمعناه المجازيِّ معنى ليس في القصد، وهو التَّهديد و الوعيد، ومن أجل هذا كانت الاستعارة في الآية أبلغ من حقيقتها، كما قال أبو (هلال العسكريّ)[57].

وقيل: "هو مستعار من قول المتهدِّد لصاحبه سأفرغ لك؛ أي سأتجرَّد للإيقاع بك من كلَّ ما يشغلني عنه، والمراد التَّوفُّر على النِّكاية فيه والانتقام منه"[58]، وذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤون الخلق المشار إليها بقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن : 29]، فلا يبقى حينئذ إلا شأن واحد هو الجزاء، فعبَّر عنه بالفراغ لهم بطريق الاستعارة ، فالله - سبحانه - ليس مشغولاً فيفرغ، وإنَّما هو للبيان وتقريب الأمر للذِّهن البشريِّ، وإيقاع الوعيد في صورة مبالغ فيها مذهلة، تزلزل كيان من يتصوَّرها.

كذلك من وظائف نقل الكلمة عن موضعها الأصليِّ إلى غيره تأكيد المعنى والمبالغة فيه على وجه يفعل في نفس السَّامع ما لا تفعله الحقيقة، فقوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ﴾ يعني "سنفعل فعل من يتفرَّغ للعمل من غير تجميع[59] فيه، ولا اشتغال بغيره عنه، ولأنَّه لما كان الَّذي يعمد إلى الشَّيء ربَّما قصَّر فيه لشغله معه بغيره، وكان الفارغ له، في الغالب، هو المتوفِّر عليه دون غيره، دللنا بذلك على المبالغة في الوعيد من الجهة الَّتي هي أعرف عندنا، ليقع الزَّجر بأبلغ الألفاظ، وأدلِّ الكلام على معنى الإيعاد"[60]. باعتبار أنَّ الوعيد "بقول القائل: سأتفرَّغ لعقوبتك، أقوى من الوعيد بقوله: سأعاقبك، من قبل أنَّه كأنَّما قال: سأتجرَّد لمعاقبتك، كأنَّه يريد استفراغ قوَّته في العقوبة له، ثمَّ جاء القرآن على مطرح كلام العرب؛ لأنَّ معناه أسبق إلى النَّفس، وأظهر للعقل، والمراد به تغليظ الوعيد، والمبالغة في التَّحذير"[61].

وسرُّ التَّعبير بالاستعارة إذن المبالغة في الزَّجر والوعيد؛ لأنَّ الَّذي يعمد إلى شيء قد يقصِّر فيه لشغله بغيره معه، ولكنَّ المتفرَّغ له هو البالغ فيما يقصده الغاية الَّتي ليس بعدها، والله سبحانه وتعالى لا يشغله أمر عن أمر، ولا يلهيه شأن عن شأن، فهو قائم لا يسهو، وإنَّما أراد بهذا التفرُّغ التَّوجُّه نحو الثَّقلين توجُّه المتفرِّغ الَّذي لا يعنيه غير هذا الموضوع في الوقت الَّذي يدير فيه جميع العالم، ويستوعب جميع صنوف التَّدبير، وذلك على طريقة العرب في سنن الكلام لدى التَّعبير عن التَّهيُّؤ والجدِّ والتَّشمير، فهو قاصد إليهم بعد التَّرك في فسحة الحياة ، ومحيط بهم بعد الإمهال قبل الموت، لا أنَّه كان مشغولاً ففرغ، أو في كائنة وانتهى منها ؛ وإنَّما هي الاستعارة بعينها ما " أشاع روح الرَّهبة في الوعيد، وانتهى بأجراس النِّقمة في المجازاة، دون شغل أو عمل صارفين"[62].

كما ينبِّهنا (أبو هلال العسكريّ) إلى جانب نفسيٍّ مهمٍّ في الاستعارة ووظيفتها حين يقول: " فضل هذه الاستعارة وما شاكلها على الحقيقة أنَّها تفعل في نفس السَّامع ما لا تفعل الحقيقة"[63]؛ فالاستعارة بهذا المدلول تثير في النُّفوس الهول المرعب المزلزل، الَّذي لا يثبت له إنس ولا جانٌّ... الله - جلَّ جلاله - الله القويُّ القادر، القهَّار الجبَّار، الكبير المتعال. الله - سبحانه - يفرغ لحساب هؤلاء المخلوقين الضُّعفاء الصِّغار: الجنِّ والإنس ، في وعيد وانتقام، إنَّه أمر وهول فوق كلِّ تصوُّر واحتمال!، وقد قال بعضهم: لو سمعت هذه الكلمة من خفير الحارة لم أنم[64]، فما بالك أن يكون القائل هو من خلق هذا الوجود كلَّه بكلمة، كلمة واحدة، كن فيكون، وتدميره أو سحقه لا يحتاج إلا لهذه الكلمة الواحدة، فكيف يكون حال الثَّقلين، والله

يفرغ لهما وحدهما، ليتولاهما بالانتقام؟![65].

الخاتمة:

وقفت هذه الدِّراسة على نماذج من الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة؛ لبيان وظيفة تلك الاستعارات، ولاستجلاء مظاهر الجمال فيها، بتجميع الإشارات في كتب القدماء والمعاصرين، وتبويبها، والزِّيادة عليها بالتَّوسُّع في إبراز القيمة الوظيفيَّة والجماليَّة للاستعارة في القرآن. دون إيثار مصطلح بلاغيٍّ حديث على مصطلح قديم، أو العكس، إلَّا بالقدر الَّذي ينهض به المصطلح - قديمًا أم حديثًا - بإبراز وظيفة الاستعارة وجمالها في النَّصِّ ويعبِّر عن الصُّورة المحسَّة أو المتخيَّلة بما يوضِّحها، وقد انتهت الدِّراسة إلى جملة من النَّتائج، من أبرزها:

- القرآن لا يستعير من أجل الاستعارة، بل يتوسَّل بها إلى تأدية عدد من الفوائد والأغراض الَّتي لا تؤدِّيها الحقيقة.

- الاستعارة أولى من الحقيقة بالاستعمال في تلك المواضع الَّتي جاءت فيها.

- القرآن لم يأت بالأساليب البلاغيَّة إلا لأنَّ ذلك ما يقتضيه الإعجاز للمخاطبين بما في سنن كلامهم.

- لم تخل تحليلات الأقدمين لمظاهر القرآن الفنِّيَّة، من الإحساس بجمال الاستعارة القرآنيَّة، وإن كان إحساسهم بذلك الجمال متأثِّرًا بمنهجهم الَّذي يجعل للقاعدة البلاغيَّة المكان الأوَّل.

- وظيفة الاستعارة وجمال التَّعبير بها أمران متلازمان، وردت إشارات متفرِّقة لهما في كتب القدماء من المفسِّرين والبلاغيِّين، كما كثرت هذه الإشارات في كتب بعض المعاصرين المهتمِّين بالتَّفسير، والدِّراسات القرآنيَّة.

- وظيفة الاستعارة وجمالها يتمثَّلان في: أداء المعاني بدقَّة، الإيحاء بمعانٍ إضافيَّة، التَّصوير بالتَّشخيص أو بالتَّجسيم، المبالغة في أداء المعنى، توكيد المعنى المراد، البيان والإيضاح، التَّأثير في السَّامع، رسم نموذج بشريٍّ.

الهوامش:

(1) انظر: مجلة مجمع اللغة العربية - السودان (العدد السابع، 2008م) / مجلة دراسات إسلامية، كلية الآداب جامعة الخرطوم (العدد الثامن ديسمبر 2016م) / مجلة العلوم العربية والإنسانية جامعة القصيم (المجلد 11 العدد 1 سبتمبر 2017م).

(2) العلوي، الطراز لأسرار البلاغة، 3 / 230.

(3) الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، 1 / 201.

(4) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص268.

(5) الرافعي، تاريخ آداب العرب، 2 / 170.

(6) أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص 166.

(7) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص 327.

(8) انظر السكاكي، مفتاح العلوم، ص 380.

(9) العلوي، الطراز لأسرار البلاغة، 1 / 111.

(10) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 1 / 70.

(11) ابن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، 1 / 255.

(12) انظر: تفسير المراغي، 1 / 57.

(13) انظر: علي صبح، التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، ص 84 – 85.

(14) محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، ص 105.

(15) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 11 / 548.

(16) الشريف الرضي، تلخيص البيان، ص 137، 138.

(17) انظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 2 / 675.

(18) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، 11 / 399.

(19) الشريف الرضي، تلخيص البيان، ص184.

(20) الشريف الرضي، تلخيص البيان، ص184.

(21) انظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 7 / 568 م.

(22) سيد قطب، في ظلال القرآن 4 / 2110.

(23) الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص 87.

(24) الماوردى، النكت والعيون، 30/1.

(25) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 1 / 107.

(26) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص 326.

(27) ابن أبي الأصبع ، بديع القرآن ، ص 22.

(28) انظر : عبد الرحمن الميداني ، البلاغة العربية ، 2 / 259.

(29) الثعالبي ، الإعجاز والإيجاز ، ص 11.

(30) عبد السلام أحمد الراغب ، وظيفة الصورة الفنية في القرآن ، ص 127.

(31) ابن أبي الأصبع ، بديع القرآن ، ص 22.

(32) الشريف الرضي ، تلخيص البيان ، ص 217.

(33) أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن ، ص 167.

(34) انظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 4 / 2294.

(35) انظر: عبد السلام أحمد الراغب ، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ص128.

(36) هذا على رأي بعض المفسرين .

(37) الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ص 93.

(38) الشريف الرضي ، تلخيص البيان ، ص 216. (الدبا : الجراد الصغير ، أوالنمل، و المتعاظل: المتراكب بعضه في بعض) .

(39) الشوكاني ، فتح القدير، ص 274 .

(40) الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ،ص 90 .

(41) حفني محمد شرف، إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، ص 344.

(42) أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن ، ص 248.

(43) انظر : بنت الشاطئ ، التفسير البياني للقرآن الكريم ، ص 83 .

(44) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 59 . وأراد بشبه الاستعارة ما عرف عند البلاغيين باسم الاستعارة القريبة .

(45) أحمد الشايب ، الأسلوب ، ص 107.

(46) من أمثال العرب : تفرقوا أيدي سبأ .

(47) أبو السعود، إرشاد العقل السليم [تفسير أبي السعود] ، ج 7 ص 129.

(48) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، 4 / 18 .

(49) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة ، ص 121.

(50) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 273.

(51) انظر: عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية ، 2 / 258 .

(52) انظر: أحمد بدوي، من بلاغة القرآن ، ص 167.

(53) سيد قطب، في ظلال القرآن ، 5 / 2968.

(54) انظر: عبد السلام أحمد الراغب ، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ص127.

(55) محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ، إعراب القرآن وبيانه ، 8 / 201 .

(56) العلوي ، الطراز لأسرار البلاغة ، 1 / 79.

(57) أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 269.

(58) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم [تفسير أبي السعود] ، 181/8.

(59) التمجيع في العمل : هو عدم أخذه مأخذ الجد.

(60) الشريف الرضي ، تلخيص البيان في مجازات القرآن ، ص 323.

(61) نفسه ، ص 323.

(62) انظر : الصغير ، مجاز القرآن وخصائصه الفنية ، ص 130 .

(63) أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 269.

(64) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 1 / 448.

(65) انظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 6 / 3456.

المصادر والمراجع:

- ابن أبي الأصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر، (بديع القرآن) تحقيق حفني محمد شرف، طبعة نهضة مصر (د . ت).

- ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد، (سر الفصاحة) دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1402هـ- 1982م، (د . ت).

- ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي،(اللباب في علوم الكتاب)، دار الكتب العلمية - بيروت - 1419 هـ -1998م.

- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (التحرير والتنوير)، الدار التونسية للنشر- تونس، 1984هـ.

- ابن معصوم المدني، صدر الدين، علي بن أحمد (أنوار الربيع في أنواع البديع) تحقيق: شاكر هادي، مطبعة النعمان، الطبعة الأولى 1968م.

- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،[تفسير أبي السعود]) دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د . ت).

- أبو موسى، محمد محمد، (خصائص التراكيب) ، مكتبة وهبة، الطبعة السابعة، (د . ت).

- أبو هلال العسكريّ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (الصناعتين) تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - بيروت، 1419 هـ.

- أحمد أحمد بدوي، (من بلاغة القرآن)، نهضة مصر، القاهرة، 2005م .

- أحمد الشايب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثّانية عشرة، 2003م .

- الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، (بين شعر أبي تمام والبحتري)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - الطبعة الرابعة [سلسلة ذخائر العرب (25) (د . ت) .

- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ - 1995 م.

- بنت الشاطئ، عائشة محمد علي عبد الرحمن، (التفسير البياني للقرآن الكريم)، دار المعارف - القاهرة، الطبعة السابعة، (د . ت).

- الثّعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (الإعجاز والإيجاز) دار الغصون - بيروت، الطبعة الثالثة 1405هـ - 1985م .

- حفني محمد شرف (إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1970م .

- الرافعي، مصطفى صادق (تاريخ آداب العرب)، دار الكتاب العربي، (د . ت).

- الرُّماني، أبو الحسن علي بن عيسى (النكت في إعجاز القرآن ضمن: [ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، سلسلة: ذخائر العرب (16)])، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، 1976م.

- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله، (البرهان في علوم القرآن) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة- بيروت، 1391هـ.

- الزَّمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمر، (الكشاف عن حقائق التَّنزيل)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، (د. ت).

- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، (مفتاح العلوم)، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثّانية، 1407 هـ - 1987 م.

- سيد قطب، (في ظلال القرآن) ، دار الشروق - بيروت- القاهرة ، الطبعة السابعة عشر - 1412 هـ.

- الشَّريف الرَّضي، أبو الحسن محمّد بن الحسين بن موسى (تلخيص البيان في مجازات القرآن)، دار الأضواء بيروت ـ (د . ت).

- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، (فتح القدير)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى - 1414 هـ.

- صبحي الصالح، (مباحث في علوم القرآن) ، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة والعشرون يناير 2000 م.

- الطَّبريّ، محمد بن جرير بن يزيد، (جامع البيان في تأويل القرآن، [تفسير الطَّبريّ])، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرِّسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000م.

- طنطاوي، محمد سيد، (التفسير الوسيط للقرآن الكريم)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة الأولى، يناير 1998م .

- عبد السلام أحمد الراغب، (وظيفة الصُّورة الفنِّيَّة في القرآن)، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001 م.

- عبد القاهر الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (أسرار البلاغة) ، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة (د . ت).

- العلويّ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، (الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز) ، المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة الأولى، 1423 هـ.

- علي علي صبح، (التَّصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية) ، المكتبة الأزهرية للتراث، (د . ت).

- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، (النكت والعيون)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية -بيروت، (د . ت).

- محمد حسين علي الصغير، (مجاز القرآن وخصائصه الفنِّيَّة) ، دار المؤرخ العربي، بيروت (د . ت).

- محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (إعراب القرآن وبيانه) دار الإرشاد للشؤون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) ، الطبعة الرابعة، 1415 هـ.

- المراغي، (تفسير المراغي) أحمد بن مصطفى، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، 1365 هـ - 1946م.

- الميداني، عبد الرحمن بن حسن حبنكة (البلاغة العربيَّة) ، دار القلم - دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1996م.